مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

تأصيل العلوم والتقانة

أكرم محمد احمد الحاج*

المستخلص

تهدف الدراسة الى البحث عن التأصيل الإسلامي للعلوم، ويعتبر موضوع التأصيل الإسلامي للعلوم ، من المهام العظيمة الملقاة على كواهل الباحثين المتخصصين كل في مجاله ، وقد ظهرت خلال السنوات الأخيرة دعوات من المتخصصين لتأصيل العلوم تأصيلاً إسلاميا ، وربطها بالجذور الإسلامية المبثوثة في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى ما كتبه علماء المسلمين الأوائل في موضوعات تبين الاستفادة منها في التخصصات المعاصرة . وقد خلصت الدراسة الي ان هناك عدة أسباب تستجوب التأصيل وتقتضي نشر هذه الثقافة فمما يستوجب تأصيل المعرفة في الإسلام؛ ما حصل من الانحراف في الفكر الإسلامي؛ نتيجة الخلاف حول مصدر التلقي، وما نشأ عن ذلك من إحداث مناهج بدعية في الاستدلال، يمكن إجمالها في ثلاثة اتجاهات، هي الاتجاه الفلسفي والاتجاه الكلامي والاتجاه الصوفي. وليس معنى ذلك أن جميع ما يقع تحت أيدينا من معطيات الفكر الغربي هي أفكار ونظريات باطلة ، ولكنها كغيرها فيها الغث والسمين وفيها الصالح والطالح ، ولكن الى جانب هذه المسلمات مع تصارع الثقافات واختلاف الحضارات نجد أنفسنا ملزمين بأن نحدد معايير تكون منطلقاً لتقييم معطيات أي فكر وضعي حتى من المسلمين أنفسهم لنقبل ما نجده فيه مصلحة الأمة ونرفض ما سواه، لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما ما وجدها فهو أحق بها. وأوصت الدراسة ببذل مزيد من الجهد للاهتمام بموضوع التأصيل الاسلامى للعلوم وارجاعها الي منهلها العذب وهو الحضارة الإسلامية الخالدة .

ABSTRACT:

The study aims at searching for the Islamic rooting of the sciences. The issue of the Islamic rooting of science is one of the great tasks entrusted to researchers specialized in this field. In recent years, there have been calls from specialists to root out the sciences of Islamic origin and to link them with the Islamic roots, Peace be upon him, in addition to what the early Muslim scholars wrote in topics that show their use in contemporary disciplines. The study concluded that there are several reasons to question the rooting and require the dissemination of this culture, which necessitates the rooting of knowledge in Islam; what happened from the deviation in Islamic thought; as a result of disagreement over the source of the receipt, and the consequent creation of methods of innovation inference, can be summed up in three Directions, is the philosophical trend, the verbal direction and the mystical direction. This is not to say that all that is under our hands is the ideas and theories of the West, but they are like other things. In addition to these beliefs, we find ourselves obliged to define criteria that are the basis for evaluating the data of any political thought. Even the Muslims themselves to accept what we find in the interest of the nation and reject what else, because wisdom lost the believer wherever he found it is better. The study recommended that more efforts should be

* عمادة الجودة - جامعة قاردن سيتى

made to address the issue of the Islamic rooting of science and its return to its freshness, which is the eternal Islamic civilization.

الكلمات المفتاحية:

المؤصل المجتهد - المؤصل الباحث - التأصيل الجماعي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.. وبعد فإن هذه الورقة عبارة عن عرض موجز لمفاهيم ورؤى
حول قضية تأصيل العلوم .

للتأصيل معاني عديدة، وأبعاد مختلفة تختلف باختلاف رؤى الناس واهتماماتهم ومعتقداتهم، ويعني التأصيل وفق منظورنا الإسلامي إعادة صياغة مناهج حياتنا بحيث تراعى وتعبر عن القيم والمعتقدات الإسلامية . وتعتبر العلوم الطبيعية من أحد أهم الموضوعات التي نحتاج لتأصيلها بحسبان أن السمة المميزة لهذا العصر هي التقنية التي ترتكز على العلوم الطبيعية، ويشمل ذلك علم الطبيعة (الفيزياء) والكيمياء والأحياء والرياضيات . وسوف نحاول في البحث تناول أحد جوانب التأصيل والتي تختص بإعادة صياغة منهجية هذه العلوم الطبيعية بحيث تنبثق من مشكاة الوحي وتهتدي بهديه. والجدير بالذكر ان البحوث السابقة التي تم تناولها أغفلت الكثير من النقاط الجوهرية التي سنناقشها في بحثنا هذا، وهذا يستدعي أن نتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية لنستنبط منها بعض المؤشرات التي قد تعين مستقبلاً بإذن الله لصياغة منهجية إسلامية علمية متكاملة بديلة للمنهجية الغربية التي سنحاول استعراض سماتها قبل أن نشرع في تلمس طريقنا للمنهجية الإسلامية البديلة.

مشكلة البحث:

وتتمثل مشكلة هذا البحث في أننا نتطلع إلى نخرج بعده فوائد نلخصها فيما يلي : تنقية وتصفية فكرنا العلمي من الشوائب الدخيلة عليه وتطهيره من الأخطاء والخرافات والبدع . النظر للعلوم الحديثة في الإطار الإسلامي ومبادئه وغاياته ، لنخضعها لمبدأ القبول أو الرفض أو التعديل . بيان تميز الفكر الإسلامي بمصادره الربانية من كتاب وسنة ، من خلال تناوله وطرحة لجميع القضايا التي تهم البشرية، مما يعنى صلاحه لكل زمان ومكان .

أهداف البحث

وتتمثل أهداف هذا البحث في ان يريد ان يرسم طريقا علميا واضحا للباحثين والمهتمين من أجل تأصيل للعلوم يمكن قائم علي ركيزة علمية قوية .

منهجية البحث

تم اعتماد المنهج الاستقرائي الاستنباطي في هذا البحث، وهو استقراء يقيني كامل قام على ملاحظة جميع مفردات الظاهرة موضع البحث وهي تأصيل العلوم لإصدار الحكم الكلي على مفردات الظاهرة حيث إن استخدام هذا المنهج قد مكننا من تتبع وإبراز جوانب التأثير لتأصيل العلوم .

اعتمدت الدراسة في سبيل تحقيق نتائجها على عدة طرق بحثية منهجية أهمها المنهج الاستقرائي والذي يقوم على رصد آراء وأفكار الأفراد عبر الدراسات والبحوث تجاه الأنشطة التأصيلية في الجامعات ، والسبل الكفيلة بتطويرها ، كما اعتمد البحث كذلك على بعض الدراسات والأبحاث عن التأصيل في المقاييس الكيفية منها طريقتي المقابلة الشخصية المقابلة المفتوحة، ومجموعات النقاش البؤرية.

مفهوم الدين والتأصيل

إن أول قضية حرية بالتوقف عندها والتأمل فيها هي مفهوم الدين عموماً في حياتنا ، لأن بناء عليها يقوم مفهوم التأصيل.

إن دين الإسلام إنما جاء في الأساس لتكميل الحياة الإنسانية بما ينقصها للوصول إلى أعلى المستويات في جميع الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، يقول الرسول ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1].

وعلى هذا الأساس أقرَّ الإسلام كثيراً من القيم الفاضلة والمعاملات ذات المصلحة المتفقة مع مقاصده عندما جاء في الجزيرة العربية.

وبهذا المفهوم يكون الإسلام هو هذه الحياة يقول تعالى:

- , + *) (' & % $ # " ! M

9 8 7 6 5 4 3 1 0 / .

: ; < = > ? @ L [2] ويقول الله

تعالى:MÆÇ È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð

Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Øù Ú Û Ü Ý

Þ ß á â ã ä å æ ç L [3] .

ويقول تعالى:M £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª

« ¬ L [4]

ولقد اختل فهم الكثيرين في هذا الجانب، فاعتقدوا أن الإسلام إنما هو شعائر تؤدى في أوقات معلومة ومحدودة ، وأن ما يدور في الجوانب الكشفية والعلمية والسياسية والاقتصادية أمر آخر لا يشمله مفهوم الدين. وعلي هذا ظهر الاعتقاد بأن صححه العلوم الطبيعية مثلاً، هي قضايا بعيدة عن ربطها بالدين والتدين ولكن العكس هنا صحيح فهذه العلوم هي أصل أصيل في دين الإسلام فقد سخرها الله تعالى للإنسانية وأمر بالبحث فيها والتأمل، كما أمر بتطويرها وتسخيرها لخدمة المجتمعات والأمم وجعل العمل فيها من موجبات الرحمة والغفران، وعلى هذا ينبغي أن يتضح الآتي:

إن التأصيل ليس هو إرجاع آحاد العلوم أو جزئياتها كلها إلى نصوص القرآن والسنة. وإن كان هذا مطلوب إن دعت الحاجة إلى ذلك.

إن التأصيل ليس هو هجر للعلوم الطبيعية والإنسانية والمهنية والاعتكاف في مغارات من الانعزال المرفوض وهجر العالم المعرفي.

إن التأصيل ليس هو توحيد جميع العقول البشرية في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية في فكر واحد واتجاه محدد، وإنما هو وضع قواعد وأسس تنطلق منها هذه العلوم لتكون متفقة مع معتقدنا الإسلامي وغير مخالفة لتعاليمه وتوجيهاته.

إن التأصيل هو تطوير هذه الحياة بجميع جوانبها لتكون خادمة للأمم ومنمية للمجتمعات، وملبية لحاجات الروح والضمير كما تلبي للحاجات الدنيوية والمادية. وحياد دون مطامع غير أخلاقية أو أهداف خاصة مرفوضة من الدين والمجتمع.

تدرج تأصيل المعرفة

ارتبطت مباحث المعارف والعلوم بقضايا مفردة أو قواعد ونظريات تقوم وجهة نظر عن الكون: (كيف كان؟ وكيف هو ؟ وكيف يعمل؟ والى أي مصير يؤول ؟ وما هي القوى الفاعلة فيه؟ [5]

وتؤكد الدراسات التاريخية أن تأسس العلوم والمعارف والعقائد على معطيات كونية وهداية دينية، هي الحقيقة التي سعى الإنسان للتمسك بها في معظم فترات حياته، ولم تكن للعلمانية أيَّة معارف بين الدين والعلوم والمعارف إلا أمرا طارئاً في حياة البشرية[6].

ويقينية المعرفة الدينية هو جوهر الاختلاف فالذي يؤمن بالدين يؤمن به علماً من خالق البشر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو يقيني مطلق لا يتغير ولا

([1]) الالباني في صحيحه "السلسلة الصحيحة" 1 / 75

([2]) سورة لقمان ، الآية 20 .

([3]) سورة الجاثية ، الآية 12 .

([4]) سورة الأنعام ، الآية 162 .

([5]) بروفيسر ابرهيم احمد عمر، 1995العالم الإسلامي على طريق البناء. وزارة التعليم العالي- الخرطوم ، ص25

([6]) المرجع السابق ، ص17

يتبدل. وليس هذا لنظريات العلوم الطبيعية ولا الفكر البشري بصفة عامة[7].

وفي العصور الوسطى عندما تحقق الناس من صواب أفكار العلماء حول الشمس والقمر والأرض ومدارتها، ومن خطل أحكام الكنيسة المنحرفة، أيقنوا ببطلان إدعاء الكنيسة بمعرفة هذه الظواهر الكونية، وبدأ الناس يتجهون نحو العلوم الإنسانية والاجتماعية وقالوا يجب ان تبنى على المشاهدة والتجربة كما هو الحال في العلوم الكونية وعليه خرج المصدر الديني من بناء العلوم جميعاً فتربعت العلمانية في كرسي العلوم والمعرفة[8]. وتؤكد الدراسات أن للمسلمين تراثاً ضخماً كان هو قوام الحضارة الإنسانية لقرون عديدة، لقد قام ونمى هذا التراث وفقاً لمنهج المسلمين في المعرفة أي المنهجية القائمة.

وتذهب دراسات التأصيل الإسلامي للمعرفة إلى أن التحول الحقيقي والثورة العلمية الحقيقة ستكون عندما تكشف عند المسلمين من مصادر العلوم الإسلامية التي تقبل مصادر العلوم العلمانية وتزيد عليها المصدر الديني وبمنهجهما علوماً كونية اصح من العلوم الكونية السائدة الآن [9].

ونجد الآن في الواقع القائم في المجتمع الإسلامي أن التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية والإنسانية، أصبحت له مؤسسات تقوم بياناتها الأساسية ومعاملاتها التطبيقية من منطلق التأصيل الإسلامي للمعرفة، فقد انتشرت المراكز العلمية والثقافية التي تعتمد مصادر المعرفة الإسلامية إلى جانب المنظمات الاجتماعية والمؤسسات الاقتصادية والأجهزة العدلية والقانونية والتشريعية والقضائية.

تعريف التأصيل

لغة: الأصل أسفل الشيء والذي يعتمد عليه سواء كان مادياً أو معنوياً. (مختار الصحاح للإمام عبد القادر الرازي).

اصطلاحاً: عرف التأصيل اصطلاحاً بأنه(إرجاع المعارف إلى أصلها ؛ الوجود والوحي)

والمطالع لكتابات المعاصرين في هذا الجانب وبالرغم من عدم تعريف بعضها التأصيل بصورة محددة، يظهر جلياً في تناولهم للموضوع أن المعنى المراد هو المذكور[10].

وإذا أردنا أن تفسر أكثر في هذا التعريف فيمكن القول: إن التأصيل هو إرجاع الحياة جميعها بمعارفها ومشكلاتها وقضاياها وجميع ما يتعلق بها إلى أصل الإسلام.

ولقد أطلق على عملية التأصيل عدد من المصطلحات الأخرى مثل الأسلمة (إسلام المعرفة)- (إسلامية المعرفة) (التوحيد المعرفي)(التأصيل المعرفي)

ويعني التأصيل الإسلامي للمعرفة الرؤية المؤسسة على الإيمان بالله خالق الكون والإنسان والحياة، للمعارف على اختلافها (كونية اجتماعية وإنسانية) ووضعها في إطار التصور الإسلامي الذي يوحد بين عالم الغيب والشهادة وبين الدين والدنيا.

ويقوم التصور الإسلامي لتأصيل المعرفة على جوهر رسالة الإسلام وهي لا تعرف الفصام والصدام بين علم الدين والعلوم كافة فالعلم المستمد من الوحي يكشف لنا عن مقاصد سنن الله في الكون والحياة والعلم المكتسب بأعمال العقل يصف لنا كيف تجري هذه السنن وإن إبراز الانسجام الرائع بين علم الدين وعلوم الكون والحياة هو ما نعنيه وندعو إليه من تأصيل المعرفة[11].

([7]) التجاني عبد الفادر وآخرون، نظريات في تأصيل المعرفة. المركز القومي للانتاج الاعلامي – الخرطوم 1995 ، ص13

([8]) ابراهيم عمر، العالم الإسلامي على طريق البناء، مرجع سابق، ص21

([9]) المرجع السابق ، ص22

([10]) بروفيسر علي الطاهر شرف الدين، تأصيل المعرفة اسسه واهدافه. دار الفكر – الخرطوم 2005.، ص27

([11]) المرجع السابق ، ص.23

ويرى بعض المفكرين أن مصطلح الأسلمة أعم واشمل من التأصيل ، وإن كان التأصيل هو لباب عملية الأسلمة.

ومن ظاهر استعمالات الاسلمة في النظريات المعرفية يتضح أن معناها مرادف لمصطلح التأصيل ، وقد عرفت بأنها: (ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان)

ولعل هذا المعنى قريب جداً من تعريف التأصيل، بل قد يكون مطابقاً له.

تعريف المعرفة

المعرفة في مفهومها الواسع تشتمل على العلوم كما تشتمل على الفنون والآداب ونعني بالعلوم جملة المعارف التي تبني ابتداءً على مبادئ وقوانين ونظريات ووسيلتها أعمال العقل أما الفنون والآداب فهي معارف تعتمد أساساً على الحس والذوق ولكن لا تخلو العلوم من النظر العلمي والذوق الفني هو لب المعرفة[12].

وقد عرّفت اليونسكو المعرفة بأنها كل معلوم خضع للحس والتجربة وحسب التعريف إن الوحي مستبعد من أنواع المعرفة[13] ويحالف تعريف اليونسكو للمعرفة الرؤية الإسلامية لتعريف المعرفة بأنها كل معلوم صح مصدره سواء كان مصدره الوحي أو مصدره الحس والتجربة[14].

وتأسيساً على عقيدة الإيمان بالله، فإن التأصيل المعرفة يكشف عن الترابط بين العلم المستمد من الوحي، وما يكتسبه الإنسان من معرفة عن الكون والحياة والطبيعة، فالوحي القرآني هو رسالة الله الشاملة المهيمنة على سائر المعارف لكل الناس ولكل العصور وفي منهجية التأصيل الإسلامي للمعرفة؛ الوحي ليس مناقضاً للكون (هذا كلام الله وهذا خلق الله)[15].

وهذا يتطلب منا التعامل بمنهجية مع الفكر الغربي هذا الفكر لا نستطيع أن نقبله كما هو ولا أن نرفضه كما هو، فالإيجابي من الفكر الغربي يجب أن نتعامل معه بموضوعية والسلبي يجب أن نستغني عنه ونبحث عن البدائل.

وإن الحديث عن تعريف التأصيل المعرفي لا بد كذلك أن يصحبه إيضاح لمعنى الأصل الإسلامي أو الأصول الإسلامية، لأنه ببيان ذلك يتضح معنى التأصيل بصورة شبه كاملة.

ولعل الأصل أو الأصول الإسلامية يقصد بها نظريات الإسلام وأحكامه وتشريعاته، فالإسلام وضع أسساً وقواعد المعرفة وتخط الإطار الذي يحكمها ويوجهها ويساعد في تصحيح مسارها إن انحرفت أو ضلت، ويمكن تلخيص أهم هذه الأصول في الآتي:

أولاً: إن الوحي هو المصدر الوحيد للمعرفة بالموجودات والغيبيات، حيث أنه وضع الإطار الشامل لهذه الأمور، ويمثل الوحي: القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثانياً: إن الكون بمجوداته هو كتاب الله المشاهد وقراءاته مع الوحي(القرآن والسنة) يكمل النظرية المعرفية الإسلامية.

ثالثاً: المعرفة البشرية ومهما بلغت من علم وتعمق تعتبر عاجزة وقاصرة ، وهي تحتاج إلى مرشد لها يبين لها معالم الطريق، وهو الوحي.

رابعاً: إن جميع هذه الحياة إنما هي مطية ورحلة يستزيد منها الإنسان إلى الآخرة وعليه فان جميع المعارف والعلوم ينبغي أن تخدم المصالح الدنيوية والأخروية التي بينها الإسلام.

([12]) المرجع السابق ، ص.24

([13]) التجاني عبد القادر، نظريات في تأصيل المعرفة، مرجع سابق، ص29

([14]) علي الطاهر، تأصيل المعرفة وأسسه وأهدافه ، مرجع سابق، ص18

([15]) ابراهيم أحمد ، العالم الإسلامي على طريق البناء، مرجع سابق، ص23

أهمية التأصيل

إن أهمية التأصيل يمكن الحديث عنها من عدد من الجوانب منها:

أولاً: إن الدعوة للتأصيل هي دعوة للرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، اللذين هما مصدرا التشريع ، وهما اللذان نرجع إليهما لنأخذ ما يهدينا إلى الطريق القويم في الدنيا والآخرة.

ثانياً: إن أهمية التأصيل تأتي كذلك من جانب آخر وهو ما يمكن أن نطلق عليه(توحيد المعايير) فالناظر اليوم في العالم يجد اختلافاً كبيراً وكثيراً في النظريات والقوانين، ومن أهم مصادر الاختلاف في هذه الأمور هو الاختلاف في المعايير التي بنيت عليها المسلمات في مجتمع وفي آخر يختلف عليها.

إن المصلحة البشرية تقتضي وجود معايير وقواعد هي الميزان الذي توزن به القضايا الكبرى التي توجه وتحكم حياة الناس وبها يعرف الصحيح من الفاسد.

إن الإسلام بأصوله المستوعبة للحياة وتشريعاته القاصدة لمصلحة الأمم صالح ليكون هو المعيار والأصل الذي تبني عليه الحياة. وأن هذا يمكن أن يبرهن عليه بالأدلة والشواهد العلمية والمنطقية.

ثالثاً: إن أهمية التأصيل كذلك تستمد من القناعة بأن الإسلام إنما هو أصل المعارف والعلوم، وإذا ترسخت هذه القناعة التي ينطلق منها البحث عن المعرفة كان البحث.يسير على هداية ربانية وقوة إيمانية تساعد في الوصول إلى النتائج الصحيحة والنظريات السليمة. كما أن تزود الباحث بهذه القناعات يجرده من حظوظ النفس والدنيا، ويدفعه إلى خدمة المجتمع بدون مطامع وأهداف شخصية؛ وهذا يجعل من البحث عن المعارف والعلوم عملية ذات معايير مجردة وخالصة من الشوائب التي قد تؤثر في نزاهتها وحيادها.

رابعاً: إن الدافع الأساسي للتأصيل الإسلامي للمعرفة هوية الأمة الإسلامية وخصوصيتها وتميزها ومشاركة العقل المبدع المجتهد في بناء الحضارة الإنسانية العالمية على هدى الكتاب والسنة.

خامساً: من دوافع وأهمية التأصيل الإسلامي للمعرفة مواجهة اتجاهات الفكر العلماني في فلسفة العلوم المختلفة وتوثيق عروة العلم والدين. ومن دوافع التأصيل الإسلامي للمعرفة إحياء التراث الإسلامي المعرفي في العلوم كافة والإفادة منه في معالجة قضايا العصر ودفع حركة النهضة الإسلامية.

سادساً: إن التأصيل الإسلامي للمعرفة يقدم رؤية إسلامية تختلف عن الرؤية العلمانية، وذلك بزيادة المعلومات التي جاء بها الوحي (الكتاب والسنة) إضافة إلى المعلومات التي تعتمد الجبال والأنعام والإنسان، وتقص قصص الجماعات والأمم والأفراد، وتتحدث آيات القرآن الكريم عن أن الذي يهدي إليه القرآن الكريم يقدم خياراً منهجياً آخر للمعرفة، يكون مبدأ الوحي والكون معاً يحقق على أسس علمية موضعية[16].

أنواع التأصيل

إن عملية التأصيل يمكن توضيحها وتلخيصها في نوعين:

الأول: إظهار رأي الإسلام في القضايا والنظريات العلمية:

وهذا يمكن تلخيصه في أربعة جوانب:

1. **الإقرار:** إن أول جانب من جوانب التأصيل هو بيان إقرار الإسلام لجميع العلوم التي تخدم البشرية وتساعد في تسهيل الحياة وتنميتها إلى غيرها من المصالح المقدرة والمعتبرة وذلك لأن جميع هذه الموجودات وما يتعلق بها من علوم إنما خلقها الله وسخرها لخدمة الإنسان، كما تقدم ذلك. بل الإسلام جعل كل هذه العلوم والتي تحقق المصالح هي من فروض الكفايات (إن قام بها البعض يسقط التكليف

(16) المرجع السابق، ص12

عن الباقين ، وأن لم يقم بها أحد تعلق الإثم والمخالفة لأمر الله بجميع الأمة.)

2. إن الإسلام وضع النصوص والأحكام التفصيلية والقواعد العامة التي تحكم جميع الحياة وعلى هذا فان من أنواع التأصيل إبراز رأي الإسلام في القضايا والنظريات تأييداً أو رفضاً.
3. **التعديل**: إن القضية العلمية أو النظرية قد تكون صالحة في بعض جوانبها وتحتاج الى التعديل في جوانب أخرى. والتأصيل يكون هنا بتعديل تلك الجوانب لتكتمل وتستقيم .
4. **المقارنة**: إن النظرية قد تكون مخالفة لقواعد الإسلام أو أحكامه، وهي بذلك لا تحتاج التعديل فحسب ، وإنما تحتاج أيضاً إلى إظهار رأي الإسلام في نفس القضية ثم إجراء مقارنة لإثبات صلاح النظرية الإسلامية.

وعموماً يمكن القول هنا بأن جميع هذه الجوانب متداخلة، ولكن التفصيل فيها من قبيل الإيضاح أكثر من قصد التقسيم العلمي.

الثاني: إظهار نظريات الإسلام وقواعده وأحكامه في حل المشكلات الحديثة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها.

والمتأمل اليوم يجد كثيراً من القضايا إلتي تقف فيها العقول – لا سيما التي لا تؤمن بالإسلام – حائرة لا تهتدي إلى حلها أو تجد أملا لفك لغزها.

وهنا يمكن أن يظهر دور عملية التأصيل بإبراز رؤية الإسلام في حل هذه المشكلات وتحليل أسبابها.

والإسلام غني بالمفاهيم والأفكار التي فيها حل لمشكلات العالم أجمع، كما الإسلام غني بالقيم والأخلاق والمعايير والعلوم التي يمكن أن تضع جميع المجتمعات في أفضل ما يمكن أن تكون عليه.

وإذا كنا نريد دليلاً على هذا، فلا يخفى ما أحدثه الإسلام في مجتمعات الجاهلية الأولى، وكيف أنه نقل تلك المجتمعات من مجتمعات متحاربة تسير على غير هدى، إلى مجتمعات فاضلة تحمل أسمى معاني الالتزام الأخلاقي والروحي، ثم ما أحدثته الحضارة الإسلامية في تلك العصور وما بعدها، والتي مثلت الحضارة المتقدمة الحديثة التي ترفع لواء العلم وتقود الحضارات التي عاصرتها.

أسس وقواعد التأصيل

إن عملية التأصيل تحتاج إلى كثير من الأسس والقواعد التي ينبغي الرجوع إليها، أنها القواعد والضوابط والموجهات التي يسترشد بها للوصول إلى الأحكام السليمة والرؤى الناضجة القوية المؤيدة بالأدلة والبراهين.

وهذه القواعد والأسس التي يحتاج إليها كثيرة جداً، ولكن وفي الفقرات الآتية سنحاول الإشارة إلى بعض القواعد والأسس التي تعتبر مهمة في عملية التأصيل:

أولاً: معرفة الأدلة الكلية في الشريعة الإسلامية

إن من أهم الأصول في عملية التأصيل هو المعرفة بالأدلة التي تستخرج منها الأحكام، وهي الأدلة الكلية مثل القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس والاستحسان والمصلحة المرسلة والعرف وغيرها.

ومعرفة هذه الأدلة وحجيتها وكيفية الاستدلال بها ضروري لأنها هي مصادر التشريع ويرجع إليها لمعرفة رأي الإسلام في القضية المعينة.

ثانياً: العلم بمقاصد الشريعة

إن من المتفق عليه بين العلماء إن الله سبحانه وتعالى ما شرع الأحكام ولا أنزل الكتب إلا لتحقيق مقاصد وغايات معتبرة.

والإسلام إنما جاء لتحصيل المصالح والمنافع ودفع المفاسد والمضار. سواء كانت دنيوية أو آخروية وبالجملة يمكن القول بأن مقصد الشريعة الإسلامية هو رعاية مصالح الناس .

ومعرفة هذه المقاصد من أهم الأسس التي تنطلق منها عملية التأصيل بكل أنواعها، فمعرفة المقاصد الشرعية يمكن من الحكم على النظريات والقضايا ، كما تمكن

من ترجيح المسائل بناء على ما تحققه من مصالح أو مفاسد.

ثالثاً: معرفة القواعد الأصولية والفقهية

إن القواعد الأصولية هي القواعد التي تناول مباحث أصول الفقه وتحكمها وتضبطها وهي مهمة من حيث معرفتها تساعد في الوصول للحكم الصحيح والنظرية السليمة. وأما القواعد الفقهية فهي مجموعة من القواعد التي استخلصها العلماء من المسائل والفروع الفقهية، أو بعبارة أخرى فان العلماء ارجعوا الفروع المتشابهة في أحكامها إلى قواعد تجمعها.

وهذه القواعد تأت أهميتها من حيث مساعدتها للمؤصل في معرفة أحكام المسائل المشابهة لما يندرج تحت القاعدة المعينة ، كما أن هذه القواعد كثيراً منها يظهر مقاصد ومحاسن الشريعة في رعاية مصالح الناس. ومن أمثلة لهذه القواعد:(الأمور بمقاصدها)،(تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة)(الضرر يزال)(الضرورات تبيح المحظورات)(اليقين لا يزول بالشك).

رابعاً: إتقان التخصص والمجال الذي يراد التأصيل فيه

إن من أهم القواعد التي تعتبر أساساً في عملية التأصيل هي الإحاطة والإتقان للتخصص أو العلم الذي يراد التأصيل فيه، فإن التأصيل في بعض الأحيان يقتضي إطلاق الأحكام، ولكي يكون الحكم دقيقاً، لا بد من استصحاب جميع ما يتعلق به من قضايا، وهذا لا يتحقق في من لم يحط مجاله أولا.

إن هذه الأسس التي ذكرت هي جزء من الأسس والقواعد التي يمكن بناء عملية التأصيل عليها، وهي إشارات أولية يمكن الإضافة إليها كثيراً، وإنما القصد من ذكرها هو الدعوة لوضع مثل هذه المعايير والقواعد التي تفيد في عملية التأصيل.

المؤصل وأنواعه:

إن قضية التأصيل قضية عظيمة ودقيقة وتحتاج إلى ملكات وأدوات، وتختلف قدرات الذين يقومون بهذه العملية، وفيما يلي نستعرض بعضاً من هذه الملكات المطلوبة معروضة من خلال أنواع الذين يقومون بعملية التأصيل:

المؤصل المجتهد

المؤصل المجتهد هو من يقوم بعملية التأصيل وتوافرت فيه شروط الاجتهاد التي بينها علماء الأصول والتي تتخلص في معرفة القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية و أصول الفقه ومواقع الإجماع وعلوم الحديث. ثم توفر فيه كذلك العلم والإحاطة بالمجال الذي يراد التأصيل فيه من علوم طبيعية أو إنسانية أو مهنية أو غيرها.ومن توفرت فيه مثل هذه الشروط يمكنه أن:

أولاً: يستنبط الأحكام والنظريات من الشريعة الإسلامية والمتعلقة بمجال تخصصه وبالتالي يستطيع التأصيل والحكم على نظريات وقضايا مجاله العلمي.

ثانياً: وبحكم إحاطته بمجال تخصصه وإحاطته بالشريعة الإسلامية يمكن أن يضع النظريات التي من شأنها أن تساهم في حل المشكلات أو تؤسس للمعرفة أو تساعد في فهم أعمق، أو غيرها من المسائل التي تسهم إسهاماً مفيداً في التخصص العلمي.

المؤصل المجتهد في بعض أبواب الشريعة

إن الذي يقوم بعملية التأصيل قد لا يكون ملماً أو محيطاً بجميع أبواب الشريعة الإسلامية ؛ أو بصورة أخرى لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد المذكورة في المؤصل المجتهد.

ولكنه قد يكون ملماً ومتمكناً من أحد أبواب الشريعة الإسلامية، كأبواب المعاملات أو الجنايات أو غيرها، وقد ذهب عدد مقدر من علماء الأصول إلى أنه يجوز له الاجتهاد في هذا الباب إذا امتلك أدوات استنباط الأحكام، وهذا ما عبر عنه بالاجتهاد الجزئي؛ بمعنى أن يكون المجتهد ممن يستطيع استخراج الأحكام والترجيح

بينها وغيرها من أنواع الاجتهاد في أحد الأبواب دون غيرها[17].

فإذا توفرت في الذي يقوم بعملية التأصيل شروط الاجتهاد الجزئي بالإضافة إلى عمله وإحاطته بمجال التخصص الذي يراد التأصيل فيه فانه يمكنه أن يقوم بنفس ما يمكن أن يقوم به المؤصل أن يجتهد من مقارنة بين النظيرات والحكم على القضايا من وجهة النظر الشرعية في الباب المعين ، ولكن يختلف عن المؤصل المجتهد في أنه لا يستطيع الاجتهاد في جميع أبواب الشريعة.

المؤصل الباحث

ويقصد بهذا الشخص العالم بمجال التخصص أو العلم الذي يراع التأصيل فيه ولكن لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد المذكورة سابقاً، ولكنه ومع ذلك يستطيع البحث في الأدلة الشرعية وأقوال العلماء ، كما أنه يستطيع البحث عن معاني النصوص بالرجوع إلى المصنفات والأقوال، ويمكنه كذلك الترجيح واستنباط الأحكام بناء على ما توفر له من معلومات استطاع جمعها بصورة مناسبة من مظان العلوم الشرعية. وهو بذلك يمكن أن يظهر الأحكام التي وصل إليها من خلال بحثه، وأن يقارن ما وصل إليه بقضايا المجال الذي يراد التأصيل فيه، وبالتالي الحكم على النظريات والأمور وإرجاعها إلى أصولها الشرعية .

المؤصل غير المحيط بأبواب الشريعة:

إن الذي يقوم بعملية التأصيل قد يكون متمكنا من تخصصه ، محيطاً بجوانبه ، قادراً على تحليل موضوعاته ، ناقداً لنظرياته، لكنه وفي الجانب الآخر هو غير مجتهد في مجال العلوم الشرعية ، ولكنه مع ذلك يستطيع أن يتتبع أقوال العلماء والأئمة المذاهب وفتاوي المجتهدين في المسألة المعينة ، وهو بذلك يمكن أن يقارن بين أقوال أهل الشريعة وما يتعلق بالتخصص المعني.

التأصيل الجماعي:

إن التخصص العلمي الدقيق قد أصبح سمة من سمات هذا العصر الذي أصبح فيه الانفجار المعرفي أكبر بكثير جداً من أن يستوعبه عقل بشري لذلك فإن وجود العالم الذي يجمع بين جميع العلوم شرعية كانت أم غيرها، أصبح أمراً بعيد المنال في كثير من الأحيان . لذلك تظهر الحاجة إلى التأصيل الجامعي وهو اجتماع أهل التخصصات المختلفة للتفكر حول قضايا التأصيل كذلك لن يكون بمقدور مفكر واحد أو حتى مجموعة من المفكرين أن تنجز عملاً واسعاً متشعباً كهذا إلا انه يقتضي عددا كبيراً من المتخصص في كل فرع من فروع المعرفة.ولكن من أهم الأسس في هذا الجانب هو وجود الفهم والقاعدة المشتركة بين أهل التخصصات المختلفة ، حتى لا يكون حديث كل منهم للآخر بعيداً عن الفهم أو الاستيعاب وأن العمل في كل حقل من حقول المعرفة هو بالدرجة الأولى ذو طبيعة تكاملية، ولن تتم السيطرة عليه إلا من خلال حشد من متخصصين الذين يمتلكون ناصية تخصصهم الدقيق فضلاً عن رؤيتهم الإسلامية الأصلية وخلفياتهم الثقافية الشاملة.

ربط المناهج العلمية بالنواحي الايمانية

إن المنهج الإسلامي في معرفة الله بعيد عن أيٍّ خرافة أو وهم أو ظن، وهو منهج يقوم على أساس العلم والوعي . ولذلك نرى أن الخطاب الإسلامي يوجّه الناس إلى اتخاذ العلم وسيلة للوصول إلى اليقين لأن الإيمان دون علم ووعي يكون إيمان المقلد لغيره، فهو سرعان ما يهتز عند أول شبهة قال الله تعالى: Å M Ð Ï Î Ì Ë Ê É È Ç Æ L Ò Ñ [18] . وإذا أراد الإنسان إيماناً صحيحاً

(17) محمد ابو زهرة، اصول الفقه، دار الفكر العربي- القاهرة 1997، ص212

(18) سورة الزمر ، الآية 9 .

فعليه بالعلم قال الله تعالى: M " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 L[19].

وتوجيه القرآن في هذا الصدد هو تأكيد لروح المنهج العلمي الصحيح الذي يدفع الإنسان إلى محاولة استكشاف ما هو مجهول من هذا الكون وظواهره على أساس من الثقة بقدرة الإنسان وبالعلم في مواجهة الطبيعة. ومما له دلالة على أن العلم في الإسلام غير محدود بحد معين قول الرسول صلى الله علية وسلم:"أنتم أعلم بشؤون دنياكم" وهذا ما يفتح الباب واسعاً أمام العقل ليستنبط من أنواع العلوم مالاحصر له، و مما لو يرد فيه نص . لكن النتيجة الحتمية لهذا البحث العلمي وصول الباحث إلى حقيقة الإيمان بالله تعالى وعظيم صفاته، والشهادة بذلك إذا كان الباحث موضوعياً متجرداً منصفاً قال الله تعالى: M 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G L[20]

والمنهج العلمي هو طريقة تنظيم عملية اكتساب المعرفة العلمية, إنه المبادئ التنظيمية الكامنة في الممارسات الفعلية للعلماء الذين انخرطوا بنجاح, وعلى مر العصور, في إنتاج المعرفة العلمية والإضافة إلى نسق العلم.

وجدير بالذكر بأن المجتمع العلمي التجريبي يعتمد على الاستقراء (تبرير المعرفة العلمية), وهو تتبع الأمر لمعرفة أحواله, والحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم في الجزئي. والاستقراء عبارة عن قواعد تنظم عملية إنتاج المعرفة [21] العلمية وفق الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: الملاحظة التجريبية.

الخطوة الثانية: التعميم الاستقرائي للوقائع.

الخطوة الثالثة: افتراض فروض تعلل أو تفسر التعميم الاستقرائي.

الخطوة الرابعة: التحقق من صحة هذه الفروض.

أما العلماء بهيئاتهم وخبراتهم ومجالات عملهم وموضوعاته وأهدافه, فهم يمثلون أهم مؤسسات الحضارة المعاصرة, إذ لا تقتصر المؤسسات العلمية على إيجاد نوع من الانسجام بين أفراد المجتمع أو الجماعات, بل يتسم المجتمع العلمي والعشيرة العلمية بدرجة من التآزر والتضافر والتكاتف يميزه عن أي نشاط آخر في المجتمع.

وقد شكل الإسلام منذ بداياته الأولى إطارا مميزا , فهو يشمل كل مجالات الحياة الدنيوية والأخروية, حيث يرتبط عضويا بالدولة والسياسة والقانون والمجتمع ويكتنف الحياة العامة والخاصة وهو لم يفرق بأي حال من الأحوال بين ما هو ديني وما هو دنيوي وما هو روحي وما هو بدني زمني. وعلى ذلك فإن الدين في المنظور الإسلامي هو منهاج شامل, الأمر الذي يجعله إطارا ملائما لدفع التنمية الشاملة والمتواصلة, ذلك لأن التقدم في ميدان ما لا يمكن أن يتم إلا إذا صحبه وتوافق معه تقدم في باقي الميادين من الحياة الاجتماعية [22].

إن أول آية قرآنية لامست قلب الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تحثه على العلم وأهمية طلبه: M L K [Z Y X W V U T S R Q P O N \ ] ^ _ ` a b c L[23].

تميز الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بتنمية العقل البشري والتركيز على تشجيع الإنسان ليمارس البحث ويأخذ من التدبر والتفكر والتمعن ديدناً لحياته, يمحص ما في نفسه ويتساءل

([19]) سورة الرعد، الآية 19 .

([20]) سورة آل عمران ، الآية 18

([21]) يوسف يعقوب السلطان الإسلام وتنمية العلم والبحث العلمي / معهد الكويت للابحاث العلمية 1998. ، ص29.

([22]) المرجع السابق ، ص30

([23]) سورة العلق ، الآية (1-5).

عما يحدث حوله للإنسان وللجماد والنبات والحيوان والكون.

كما بين الإسلام الدور الهام لمن يعطي للبشرية وينهل من العلم والمعرفة، ورفع من مكانة العلماء والباحثين وذوي الخبرة M L s r q p o[24]، والتخصص في تطور المجتمعات ورقي البشرية[25] .

ولذلك، وانبثاقا من قوله تعالى M ^ _ ` a b L c[26] يمم المسلمون وجوههم شطر العلم والبحث والمعرفة, ونفرت طائفة منهم في شتى بقاع المعمورة لنشر العلوم وتتبع أهل العلم والخبرة في مختلف التخصصات من علوم شرعية ودنيوية, حتى أن المحب للعلم كان يسافر أميالا ويقطع الفيافي والقفار للتأكد من صحة حديث للنبي صلى الله عليه وسلم، أو أن يجتمع مع علماء وباحثين للتزود من علمهم والاقتناء من خبرتهم مؤكدين قوله تعالى M 0 1 2 3 L 4[27].

فالإسلام, لا مراء, يدعو إلى العلم والتقدم الذي تستفيد منه الحضارة الإنسانية, وما كانت البشرية لتصل إلى ما وصلت إليه لولا إنتاج العقل المبنى على العلم والبحث العلمي. ذلك العقل الذي يعرف أن له خالقا, خلق فسوى, وقدر فهدى يتطلع إلى الكون بنظرة إيمانية تعينه على تحقيق النتاج العلمي[28].

إن إعادة صياغة منهجية العلوم الطبيعية بحيث تنبثق من مشكاة الوحي وتهتدي بهديه هذا يستدعي أن نتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية لنستنبط منها بعض المؤشرات التي قد تعين مستقبلاً بإذن الله لصياغة منهجية إسلامية علمية متكاملة بديلة للمنهجية الغربية التي سنحاول استعراض سماتها قبل أن نشرع في تلمس طريقنا للمنهجية الإسلامية البديلة[29].

لقد شهد النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري موجة هائلة من الوعي الإسلامي عمت العالم كله ، فضلاً عن عديد من الخطوات المهمة اتخذتها أجزاء من هذه الأمة على طريق التحرر الذاتي. ورغم أن هذه الخطوات إلى الأمام، فإن هذا القرن نفسه قد شهد انتكاسة شديدة تمثلت في اندفاع عام عند المسلمين لتقليد الحضارات الأخرى. هذا الاندفاع لم يحقق هدفه في أي مجال كان ، بل إنه نجح في تجريد الطبقة العليا من المجتمع الإسلامي من إسلامها وأوهن من عزيمة الباقين ... لقد غشيت الرؤية الإسلامية برؤية أجنبية وفدت إلينا مع الغزاة المستعمرين. ولما رحل المستعمر بقيت هذه الرؤية الأجنبية، بل أصبحت أشد خطراً. وبدا المسلمون لعدة أجيال غير قادرين على التخلص منها... إنك لتراها واضحة في كل مكان: في المؤسسات المستوردة ، وفي بانتشار اللغتين الإنجليزية والفرنسية بينهم، وفي تصميم مكاتبهم وبيوتهم ومدنهم ، وفي برامجهم الترفيهية ...في المناهج الاقتصادية والسياسية التي يتبعونها، وفيما يعتنقون من أفكار عن الحقيقة والطبيعة والإنسان والمجتمع.... وكان العامل الأول في انتشار هذا التصور الأجنبي هو النظام التعليمي، فقد شعبوه إلى نظامين: نعتوا أحدهما "بالحديث" والآخر "بالإسلامي"... هذا التشعيب يعتبر صورة مصغرة لانحطاط المسلمين. وما لم يتم علاج هذا الأمر والتخلص منه ، فسيظل يدمر جهد كل مسلم يبذله

([24]) سورة فاطر، الآية 14 .

([25]) يوسف يعقوب السلطان الإسلام وتنمية العلم والبحث العلمي / معهد الكويت للابحاث العلمية 1998. ، ص23

([26]) سورة العلق، الآية 5.

([27]) سورة طه، الآية 114 .

([28]) رحمة عثمان منهج الغزالي في العلم والمعرفة ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (العدد 6) مايو 2005 .، ص.33.

([29]) التجاني عبد القادر ، مقدمة في تأصيل المعرفة ، مجلة التأصيل (العدد 1) ، ص 13. ديسمبر 1994م ، ص17

لإعادة بناء "الأمة" ولتمكينها من أداء "الأمانة" التي ائتمنها الله تعالى عليها[30].

لقد حاول العديد من كبار الشخصيات الإسلامية في الماضي أن يصلحوا نظام التعليم الإسلامي وذلك بأن يضيفوا إلى مناهجه الدراسية الموضوعات الأساسية في النظام الأجنبي. ويعتبر السيد أحمد خان والشيخ محمد عبده أبطال هذه المحاولة، أما جمال عبد الناصر فقد وصل إلى ذروة هذه الاستراتيجية عام 1961م حين حول الأزهر – أعظم حصن للتعليم الإسلامي – إلى جامعة "حديثة"... لقد استقرت جهود هؤلاء، وجهود الملايين من أمثالهم ، على فرضية أن تلك الموضوعات التي تدعى "بالحديثة" لا ضرر فيها وأنها يمكن أن تمد المسلمين بالقوة أدركوا أن هذه الدراسات الأجنبية من "إنسانيات" و "علوم اجتماعية"، وحتى "العلوم الطبيعية" كذلك، ما هي إلا واجهات لنظرة متكاملة للحقيقة وللحياة وللعالم.

إن إصلاح التعليم المرجو منه هو صبغ المعرفة الحديثة ذاتها بالصبغة الإسلامية. وهي مهمة تشبه في خصائصها – وإن كانت أرحب مدى – ما اضطلع به أسلافنا ثقافياً وحضارياً. فالدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية والطبيعية يجب – كمقررات دراسية يجب أن تُبنى من جديد وأن تقام على أسس إسلامية جديدة وتناط بها أغراض جديدة تتفق مع الإسلام.

ومع هذا، وعلى الرغم من كل هذا، فقد وجد المسلمون أنفسهم في مطلع القرن الخامس عشر الهجري محاصرين بطوفان من الطلاب، وليس في أيديهم مخططات لنظام تعليمي ينمو نمواً طبيعياً، يواجَهون بانفجار في المعرفة على كل الجبهات مع انعدام المخططات التي تمكن الأساتذة والمؤسسات التعليمية من مواجهته بنجاح... والنتيجة أن العالم الإسلامي استمر يرسل إلى الغرب أعدادا متزايدة من شبابه ليتعلموا ويتدربوا ، ولكنه ظل مع ذلك يعانى فقده لهم نتيجة "هجرة الأدمغة".

وباختصار، لقد نزل المسلم بنفسه إلى درك الهمجية وذلك على الرغم من ادعائه غير ذلك إلى حد صبغ نفسه بصبغة "الغرب"... لقد أصبحت حياته خليطاً من أساليب شتى و مبتوتة الصلة بماضيه... لقد جعل من نفسه شيئاً لا هو بالإسلامي ولا هو بالغربي ، جعلها "مسخاً ثقافياً" للعصور الحديثة.

إن البحث الأصيل عن المعرفة لا وجود له دون "روح" تبعث فيه الحياة ، وهذه الروح هي بالذات ما لا يمكن اقتباسه، وذلك لأنها تتولد من الرؤية الواضحة للنفس وللعالم وللحقيقة، أي من الدين، وهذا هو ما يفتقده نظام التعليم في العالم الإسلامي اليوم، إن القيادات التعليمية عندنا ليس لديها بالطبيعة رؤية الرجل الغربي، كما أنها باختيارها – أي بسبب الجهل والخمول والسلبية – لا تمتلك الرؤية الإسلامية، إنها قيادات مادية المنزع، ليس لديها ثقافة أو قضية تشغلها، لقد أصبحت القومية هي مصدر الإلهام للجامعات الغربية طيلة القرنين الماضيين، وذلك لأن "الرومانسية" قد استبدلت "الأمة" بإله المسيحية الذي مات [بزعمهم] ، وجعلت من الأمة "الحقيقة المطلقة" والأصيلة، أما بالنسبة للمسلم فليس هناك "حقيقة مطلقة" سوى الله ؛ ومن ثم فإن الولاء المطلق للأمة أو للدولة عنده ليس أمرا مستحيلا فقط وإنما هو كفر... ومهما تكن الرابطة التي تربط المسلم بتراثه وماضيه ، فمن غير الممكن بالنسبة له أن يكون "قوميا" بنفس المعنى الذي لدى الأوروبي الذي تخلص من مسيحيته[31].

وجوب ربط المناهج العلمية بالنواحي الايمانية

- إن المأساة الكبرى للتعليم في العالم الإسلامي تتمثل يقيناً في أن الأساتذة في جامعات العالم الإسلامي، لا تسيطر عليهم الرؤية الإسلامية ولا تحفزهم قضية

(30) المرجع السابق ، ص18

(31) اسماعيل راجي الفاروقي ،أسلمة المعرفة المبادي العامة وخطة العمل ،دار البحوث العلمية بالكويت 1983، ص28

الإسلام، إن الطلاب في كل بلاد العالم الإسلامي يدخلون الجامعات وكل ما تسلحوا به – فيما يتصل بالرؤية الإسلامية – معلومات ضئيلة عن الإسلام تلقوها في بيوتهم أو في المدرسة الابتدائية أو الثانوية، وواضح أن هذا لا يكوِّن "رؤية" ولا يوجِد "قضية"، ومن هنا، فإن الطالب المستجد يدخل وهو كالصفحة البيضاء من حيث "المبادئ"، إنه قد يحمل بعض العواطف ، لكنه بالتأكيد خلو من "الأفكار والمبادئ" الواضحة، فهذه العواطف – إن وجدت – لن تلبث أن تنهار حين تواجَه بما يقدمه له "العلم" في مجال التخصص على أنه "مبادئ" و "حقائق" وأحكام "موضوعية" في حين أنه ليس لدى هذا الطالب شيء يدفع به عن نفسه من نحو تصور إسلامي واضح يمكنه من المواجهة على هذا المستوى "الفكري". إن هذا الطالب إذا تخرج ولم يتأصل لديه الإلحاد أو العلمانية أو الشيوعية فإن الإسلام سيكون في نظره قد انحسر إلى مجرد رباط عاطفي شخصي بينه وبين أسرته أو الناس من حوله، أما الإسلام النابض بالحياة الغنى بأفضل المبادئ التي تلائم وتحل كل مشكلة، فإنه لا يدرى عنه شيئاً. وعلى مستوى "الفكرة والمبدأ" نجد الطالب في جامعات العالم الإسلامي يواجِهُ الأفكار والمبادئ الأجنبية التي تقدم إليه في الكتب أو في قاعات الدرس بوسائل دفاع لا تجدي فتيلاً، إنه يكون أشبه بجندي يواجه بالسيف والرمح جندياً آخر مدججاً بالدبابة والمدفع، وليس هناك مكان في العالم الإسلامي يدرّس فيه التصور الإسلامي لمجموع الطلاب كما يدرس التصور الغربي لطلاب المدارس الثانوية في الغرب، أعنى بنفس ذلك المستوى من التناسق والشمولية والجدية والالتزام الفائقين بالنسبة لجميع الطلاب، فليس هناك جامعة في العالم الإسلامي تجعل مثل هذا التصور الإسلامي جزءاً من البرنامج الدراسي الأساسي وتفرضه على جميع الطلاب[32].

- إن أعظم مهمة تواجه "الأمة" في القرن الخامس عشر الهجري هي حل مشكلة التعليم ، وليس هناك أمل في بعث حقيقي للأمة مالم يتم تجديد النظام التعليمي وإصلاح أخطائه ، والحق أن ما نحتاج إليه إنما هو إعادة تشكيل النظام من جديد . إن هذه الثنائية في التعليم [في العالم] الإسلامي وتقسيمه إلى نظامين "إسلامي" و "علماني" يجب أن تزال ويقضى عليها إلى الأبد . يجب أن يدمج النظامان ويتكاملا في نظام واحد وأن يشبّع بروح الإسلام ليصبح جزءا وظيفيا لا يتجزأ من برنامجه "الفكري" . يجب ألا يسمح لهذا النظام الجديد أن يكون تقليدا للغرب ولا أن يترك حرا يختط لنفسه أي طريق كان . كذلك يجب ألا يُتهاون معه بحيث يصبح أداة لخدمة الاحتياجات الاقتصادية أو العملية للطلاب من أجل معارف مهنية ، أو تقدم شخصي ، أو منفعة مادية . يجب أن تناط بالنظام التعليمي رسالة ، ولا يمكن لهذه الرسالة إلا أن تكون "نقل الرؤية الإسلامية" ، وتربية الإرادة لتحقيقها في الزمان لكن "الأمة" في مجموعها تنفق على التعليم نسبة من مجمل ناتجها القومي وميزانيتها السنوية أقل بكثير مما تنفقه الأمم الأخرى في العالم اليوم والمكان.
- إن إعادة صياغة المعرفة على أساس علاقة الإسلام بها ، بمعنى "أسلمتها" ، أي إعادة تعريف المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها ، وأن يقوم من جديد ما انتهي إليه من استنتاجات وأن يعاد تحديد الأهداف، على أن يتم كل ذلك بحيث يجعل تلك العلوم تثري التصور الإسلامي وتخدم قضية الإسلام – وأعني بها وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ووحدة الإنسانية ووحدة الحياة والطبيعة الغائية للخلق وتسخير الكون للإنسان، وعبودية الإنسان منه – أن تحل هذه محل التصورات الغربية وأن يتحدد على أساسها إدراك الحقيقة وتنظيمها.

([32]) المرجع السابق ، ص29

- ومن هنا نستطيع القول إن الإطار المعرفي الإسلامي قائم على حقائق واضحة في الكتاب والسنة, فيما يتعلق بمصادر المعرفة أو فيما يتعلق بالكون والخليقة والغرض من خلقهم, وأخيراً في الحياة مبدأها ومصيرها. والمهمة الكبرى لعلماء المسلمين هي أخذ تلك الحقائق ورسم خرائط لأطر معرفية إسلامية وفق كل تخصص علمي, يتيح للمتخصصين في كل مجال السير عليها للوصول لمعرفة علمية مؤصلة [33].

رغم أن القرآن ليس كتاباً متخصصاً في العلوم الطبيعية إلا أنه حوى معلومات ثرة وقواعد عامة يمكن أن نهتدي بها لوضع الأسس النظرية العامة لكل العلوم الطبيعية والإنسانية ، مما يبين مدى إعجاز هذا القرآن، ويقدم لنا برهاناً جديداً على احتواء القرآن على المبادئ الأساسية والأسس العامة ليس للعلوم الشرعية فحسب كما يظن الكثيرون ، بل لكل العلوم التي على ظهر الأرض ، وقد أشارت بعض آيات القرآن الكريم لهذه الحقيقة ، فقد ورد L I U T S R Q PM [34]، وفي قوله تعالى : M / 0 1 2 3 4 5 6 7 | 9 : ; < = | ? @ A B C D E F G H L I [35].

نشر ثقافة التأصيل

هناك عدة أسباب تستجوب التأصيل وتقتضي نشر هذه الثقافة فمما يستوجب تأصيل المعرفة في الإسلام؛ ما حصل من الانحراف في الفكر الإسلامي؛ نتيجة الخلاف حول مصدر التلقي، وما نشأ عن ذلك من إحداث مناهج بدعية في الاستدلال، يمكن إجمالها في ثلاثة اتجاهات، هي الاتجاه الفلسفي والاتجاه الكلامي والاتجاه الصوفي.

والأصل الجامع لهذه الاتجاهات على اختلافها هو انحرافها في مصدر التلقي، مع دخولها في مسمى الفكر الإسلامي، مما يقتضي بالضرورة تأصيل منهج الاستدلال الحق، والكشف عن تناقض هذه الاتجاهات وما يلزم عنها من لوازم باطلة .

ومما يستوجب تأصيل المعرفة أن الاتجاه الوضعي المعارض لحقائق الدين هو المنهج السائد في هذا العصر في المذاهب الفلسفية ونظريات ما يسمى بالعلوم الإنسانية التي دخلت إلى العالم الإسلامي على أيدي مفكرين ومربين، تلقوها وطبقوها دون وعي بحقيقة الإسلام، أو حقيقة ما تتضمنه تلك النظريات من المصادمة للثوابت الشرعية ولذا وجب الكشف عن أصول تلك المذاهب والنظريات ونقدها.

ومما يستوجب تأصيل المعرفة في الإسلام أن الغالب على ما أصبح يعرف بأسلمه المعرفة وأسلمة العلوم هو الاهتمام بالجانب النقدي للمذاهب والنظريات المخالفة، ومع أهمية هذا الجانب إلا إنه لا يمكن أن يحقق الهدف منه مالم يؤسس على تصور متكامل لطبيعة المعرفة في الإسلام ومصادرها ومجالاتها .

وقد بحث الكاتب محمد شاوش[36] في الأفكار العملية التي تساعد على تحويل الأفكار التأصيلية النظرية إلى واقع عملي. وقد وجد أن التربية والبيئة لهما الدور الأكبر في تكوين الشخصية, وأننا بحاجة إلى البحث بحثاً دقيقاً في الظروف الفكرية والاجتماعية التي تقود الأفراد في مجتمعنا إلى تبني خيارات متعارضة مثل خيار التغريب وخيار التأصيل ولا شك عندنا أن واقعنا الاجتماعي يحتوي بالفعل على مشجعات كلا الاتجاهين.

ومما يقوي التوجه التأصيلي, برأي الكاتب, هو وجود عامل عالمي يتمثّل بفشل النظام الغربي القائم على العامل المادي حيث باءت بالإخفاق محاولة الغرب بناء

([33]) المرجع السابق ، ص22

([34]) سورة الأنعام، الآية 38 .

([35]) سورة النحل، الآية 89 .

([36]) محمد محمود شاويش، نحو ثقافة تأصيلية (البيان التأصيلي). دار نينوى (دمشق) والدار العربية للعلوم-ناشرون (بيروت). يناير 2007، ص16

المجتمع على أساس الدافع الاقتصادي لوحده, وظهرت موجة عداء كبيرة للعولمة، على اعتبار أنها لن تكون إلا تعميماً لهذا النظام الفاشل، لذلك فإن العداء للعولمة يصب حكماً في (الطاحونة التأصيلية).

ومما يساعد على نشر ثقافة التاصيل:

- نشر الدراسات والأبحاث التي تعالج القضايا العقدية والفكرية المعاصرة وفق منهج أهل السنة والجماعة.
- إيجاد وعاء علمي يكون مرجعاً لكافة الباحثين باختلاف مرجعياتهم الفكرية في معرفة الرؤية السلفية حول القضايا الفكرية المعاصرة.
- دعم وتنشيط البحث العلمي، وتوجيه الأبحاث نحو القضايا المستجدة في الواقع المعاصر، لدراستها دراسة علمية وفق المعايير الموضوعية.
- فتح باب الحوار والنقاش العلمي في المسائل الإجتهادية، لتتم معالجتها في جو من الهدوء والبعد عن التصنيف والأحكام الشخصية، والتعود من خلالها على الاختلاف والحوار.
- البحث في أسباب التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر.
- ربط رسائل الدراسات العليا في العلوم الطبيعية (دبلوم , ماجستير والدكتوراة) بأصول البحث من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مع مراعاة عدم المغالاة في تطويع النصوص الشرعية لتوافق النظريات العلمية.
- إقامة الندوات والمحاضرات العامة لعكس مفهوم ومجالات التأصيل والإعجاز العلمي في القرآن.

التأصيل في الجامعات

- أن من أهم مهام الجامعات ربط مجتمعاتها بقيمه وموروثاته ، والأهم من ذلك هو الربط بالمعتقدات التي تعتبر على مر الأزمان هي المحرك والوازع والموجه للأمة الرائدة .
- إن ربط العلوم بالمعتقدات الإسلامية الأصلية هو توجيه للعلم ليسير على طريق الاستقامة، ونفع الأمم الذي من أجله أوجده الله تعالى.
- إن قيام الجامعة على التأصيل هو بناؤها على الأعمدة التي بنيت عليها حضارات الإسلام الممتدة التي كانت في يوم من الأيام تمثل الحضارة السيادية على وجه الأرض.

إن عدم وجود الأصول والقواعد التي تنطلق منها المؤسسة ، وعدم اتضاح مرجعيتها الفكرية الكبرى يجعلها خليط من مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تمثل اتجاهات مختلفة وغريبة في بعض الأحيان عن مجتمعها وأمتها ، بل وقد يكون هذا في بعض الحالات تناقضاً في مكونات الجامعة ورسالتها ؛ كأن تقدم بعض كلياتها عملاً أو فكراً يعارض أو لا يتفق أو على الأقل لا ينسجم مع وحدات أخرى من نفس المؤسسة.

وهذا عيب كبير؛ إذ إن المؤسسة الرائدة تكون متناغمة في جميع أعمالها ، منسجمة في أفكارها، واضحة في أهدافها ووسائل تحقيقها.

دور إدارات الجامعات في نشر التأصيل

إن دور إدارة الجامعة في التأصيل قد لا يحاط بما يأتي من سطور ، ولكن هي بعض الإشارات التي يمكن أن تسهم في وضع مثل هذه الأطر :

إن من أهم وأول الأدوار التي يمكن أن تقوم بها إدارة الجامعة في عملية التأصيل هو الرعاية الإدارية بهذه العملية وسن التشريعات والنظم التي تدفع وتشجع جميع منسوبي المؤسسة الجامعية للبذل والعطاء في هذا الجانب.

- وفي الجانب الآخر فان غياب إدارة الجامعة ، وعدم اهتمامها بهذه العملية يضعفها ولا يحمل على الاهتمام بها من جانب الأساتذة أو الطلاب .

- إن القيادة دائماً أو على الأقل في كثير من الأحيان تؤثر في اتجاهات المرؤوسين، وهذا يدعوها إلى القيام بواجبها تجاه التأصيل بكل علمية وتجرد.
- إن إيمان الإدارة الجامعية بهذه القضية أساس في قوة الانطلاق وتثبيت أركان هذا العمل .
- إن توحيد الجهود في التأصيل ، تنظيم العمل في سبيل دفع هذه العملية إنما هو واجب من واجبات الإدارة وبدونه تكون الجهود في هذا الجانب شذرات متفرقة تضيع في ظل الانفتاح المعرفي المتباين.
- من واجب الحكومة ووزارة التعليم العالي وإدارات الجامعات في هذه الميادين أن تعقد المؤتمرات ، وتشجع البحث العلمي المنطلق من قواعد التأصيل ، وترعى هذه العملية عبر وحدات وإدارات مختصة ونشطة ترعى هذا العمل . وأولا وأخيرا ينبغي أن يكون التأصيل هدفاً من أهداف الدولة تسعى إلى تحقيقه.

دور الأستاذ الجامعي في عملية نشر التأصيل

أولا بناء العقيدة التأصيلية في نفسه ثم في وسط أعضاء هيئة التدريس في مؤسسته ولا ينبغي أن تبنى هذه القضية على العواطف والاندفاع النفسي الذي لا يستند إلى البراهين والأدلة والقواعد العلمية التي يدعو لها الإسلام.

بل لا بد أن تكون هذه القناعات منطلقة من أسس راسخة ومفاهيم رفيعة .

- توسيع قاعدة الثقافة الإسلامية وامتلاك أدوات التأصيل .
- ترسيخ هذه القيم في أوساط الطلاب واستقلال جهودهم في هذه العملية .
- التفكر مع أصحاب التخصصات الأخرى لدفع هذه العملية وجماعية التأصيل.

تأصيل البحث العلمي

إن تأصيل المعرفة يستلزم أن يكون البحث محكوماً بجمل من الضوابط من حيث (أهدافه – ووسائله- ومناهجه) نوجزها في الموجهات الآتية:

- أن ينظر إلى البحث بحسبه عبادة واستجابة لما حث عليه الله من التدبر في خلقه وناموس الوجود والتفكر في خلق الكون والتبصر في سنن الطبيعة .
- أن تؤسس البحوث على مبادئ لا تتعارض مع حقائق مستمدة من الوحي ومن قوانين الكون.
- أن تكون نتائج البحث العلمي قابلة للاختبار أو التفسير، وأن لا يصغى هذا التفسير إلى فهم يتنافى مع ثوابت العقيدة وحقائق العلم المقطوع بصحته.
- أن لا توظف نتائج البحث أو أي من تطبيقاته ووسائله في ممارسات أو سلوك تصدم وقيم الفضيلة والإسلام
- أن يلبي البحث العلمي مقاصد الشرع في ما يفيد الإنسان
- أن لا تخرج مسميات الأشياء في سياق البحث أو عامة في الخطاب المعرفي عن مدلولها باللغة العربية حتى تتيح ذلك معايرة دلالاتها باللفظ القرآن الذي نزل (بلسان عربي مبين).
- أن تفهم وتطبق نتائج البحث والنشاط المعرفي من خلال خصوصية ظرفها المكاني والزماني حتى تكون قابلة للتأميم والتطوير والتعديل
- أن يهدف البحث إلى تحقيق التكامل المعرفي والعلمي والتطلع إلى كشف السنن ووسائل التسخير التي تمكن الإنسان من القيام بأعباء الاستخلاف الإنساني وحمل أمانة التعمير.

الخاتمة

إذا نظرنا للاستعراض الذي قدمناه لمحاولة استنباط منهجية علمية عامة بديلة للمنهجيات الوضعية الأخرى، نجد أن القرآن الكريم والسنة المطهرة ، قد حويا مبادئ عامة وموجهات في مجالات العلوم والتقانة مما يستوجب منا أن نعيد النظر للقرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، ولا نعاملها كمصدرين لفقه العبادات والمعاملات فقط ، بل ينبغي علينا أن نستنبط منهما منهجيتنا ونظمنا لكل مجالات الحياة عسى الله أن يقوم لنا بهما اعوجاجنا الذي أصبح ظاهراً للعيان ، بعد أن

أثبتت المنهجيات الوضعية الأخرى فشلها في كل مجالات الحياة تقريباً فإن أهمية التأصيل كذلك تظهر عند ترسيخ هذه القناعة لدى طلاب العلم، وأنه عند انطلاقه منها لطلب البحث والمعرفة، يتسنى له الوصولُ إلى النتائج الصحيحة، والنظريات السليمة، ذات المعايير المجردة والخالصة من الشوائب التي قد تؤثِّر في نزاهتها وحيادها..

إن أهمية التأصيل تظهر إذا علمت أن من القناعات المشتركة بين العلماء أن التأصيلَ العلميَّ هو العنصرُ الجوهري لنهضة الأمة، وأنه نقطة الانطلاق الأساسية التي يبدأ منها كلُّ تصور للخروج من الأزمة ..

إن أهمية التأصيل تظهر أيضًا عند معرفة أنه يختصر لصاحبه الوقت، ويوفِّر عليه الجهد.

المصادر والمراجع

1. بروفيسر ابرهيم أحمد عمر، (1995م) العالم الإسلامي على طريق البناء. وزارة التعليم العالي، الخرطوم

2. التجاني عبد القادر وآخرون(1995م) نظربات في تأصيل المعرفة. المركز القومي للإنتاج الإعلامي – الخرطوم

3. بروفيسر علي الطاهر شرف الدين(2005م) تأصيل المعرفة أسسه وأهدافه. دار الفكر، الخرطوم.

4. محمد أبو زهرة(1997م) أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة.

5. د. يوسف يعقوب السلطان(1998م) الإسلام وتنمية العلم والبحث العلمي، معهد الكويت للابحاث العلمية.

6. د. رحمة عثمان(2005م) منهج الغزالي في العلم والمعرفة ، مجلة .الشريعة والدراسات الإسلامية (العدد 6) مايو.

7. .د. التجاني عبد القادر(1994م) مقدمة في تأصيل المعرفة، مجلة التأصيل (العدد 1) .

8. د.إسماعيل راجي الفاروقي(1983م) أسلمة المعرفة المبادي العامة وخطة العمل، دار البحوث العلمية، الكويت.

9. محمد محمود شاويش(2007م) نحو ثقافة تأصيلية (البيان التأصيلي). دار نينوى (دمشق) والدارالعربية للعلوم، ناشرون، بيروت.